والى جانب هـذا النوع بقيت بعض النظم الاقطاعية القديمة ، مثل الاقطاع المستند الى احياء الارض الموات ، وبموجبه تصبح الارض ملكاً لمستصلح الارض ولذريته من بعده ، وتعرف باسم (القرار الشمسي) . كما استمر الحفاظ على الملكيات الموقوفة على المساجد والمدارس ، غالباً . وتعد وقفية الخواجه أمين الدين مرجان على منشآته التي اقامها ببغداد (المدرسة المرجانية(*) دار الشفاء ، خان مرجان) من أضخم الوقفيات المعروفة في تاريخ العراق وأدقها .

لم يهتم الجلائريون بالنشاط الزراعي الا بما يكفي لاعاشة قواتهم ، ولذلك اقتصرت عنايتهم على بغداد والمناطق المحيطة بها حتى ان هذه المنطقة دفعت سنة ٧٦٥هـ /١٣٦٣ م نصف مجموع موارد العراق آنذاك ، مما دل على ان النشاط الزراعي أخذ ، في هذه الحقبة ، بالانحسار الى المناطق القريبة من المدن الرئيسة طلباً للأمن والحماية ، اما اصلاح الانهار وتطهيرها وزيادة الرقعة الزراعية فلم تلق من اولئك الغزاة اهتماماً الا في حالات نادرة ، وزاد من تفاقم الاحوال الاقتصادية تكرر وفود الجراد ووباء الطاعون ، وتعاقب الغزوات الاجنبية وكثرة التطاحن بين القوى الغازية .

القره قوينلو ١٤١٠ ـ ١٤٦٧

بسقوط بغداد على يد شاه محمد بن قرة يوسف أصبح العراق جزءاً من دولة عاصمتها تبريز عرفت في التاريخ باسم (الخروف الاسود) : وكانت تسمى « البارانية » نسبة الى قبائل الغز التركمانية التي نزحت من تركستان الغربية الى جهات اذربيجان وسيواس في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، وشاع اسمها (قره قوينلو) وأصبح اصطلاحاً خاصاً بها لاشتهارهم باقتناء (الشياه السود) أو لأن رايتها تحمل شارة (خروف أسود) .

(*) هي جامع مرجان اليوم .

تعاظم شأن القبيلة أيام زعيمها ييرام خواجه بن تورمش ، وأصبحت امارة ذات قوة ونفوذ ولاسيما بعد تحالفها مع الدولة الجلائرية في عهد السلطان أويس (٧٥٧ ـ ٧٧٦ / ١٣٥٦ ـ ١٣٧٤) وعلى اثر وفاة هذا السلطان ، عمت الفوضى وشاعت الفتن والاضطرابات ، فانتهز ييرام الفرصة واستولى على الموصل وسنجار .

مرت على الامارة ابان الغزوات التيمورية في اواخر القرن الرابع عشر سلسلة من الانتكاسات ، واضطر اميرها قره يوسف بن قره محمد حفيد ييرام ، الذي تولى الامارة في ٧٩٢/١٣٩٠ م ، أن يلجأ الى الاناضول . وبعد أن تمكن من السيطرة مؤقتاً على بغداد في ١٤٠٢ م ، أجبر على الفرار الى الشام . وعلى اثر موت تيمور لنك وانفراط عقد امبراطوريته وتفككها ، عاد قره يوسف الى اذربيجان في الوقت الذي كانت الدولة الجلائرية تعاني من الانحلال والانحسار . وجاءتها الضربة القاصمة على يد قره يوسف حينما أوقع هزيمة كبرى بجيش السلطان أحمد الجلائري قرب تبريز في ٨١٣ / ١٤١٠ . واستولى ابنه شاه محمد على بغداد في السنة التالية ، متمتعاً باستقلال اداري واسع طوال ولايته التي دامت ثلاثة وعشرين عاماً .

لم يثول قره يوسف اهتماماً بالعراق حتى وفاته في ٨٢٠/١٤٢٠ ، وكان معنياً بتوسيع ممتلكاته ومقارعة بقايا الامبراطورية التيمورية في ايران في عهد شاه رخ ؛ ولكن بغداد أصبحت هدفاً له حينما امتنع ابنه شاه محمد عن تقديم الاموال فحاصرها في سنة ٨١٨/١٤١٨ واجبر ابنه على تسليم الاموال . يقول المؤرخ ابن تغري بردي الذي كان قريباً من ذلك العهد (ت ٨٧٤) عن عهد هذه السلالة بعد موت قره يوسف : « .. نسأل الله تعالى ان يلحق به من بقي من ذريته فانه واولاده كانوا سبباً لخراب بغداد وغيرها من العراق ، وهم شر عصبة ، لازالت الفتن في أيامهم ثائرة والحروب قائمة الى يومنا هذا ... » . وأحدث موت قره يوسف ارتباكاً وفوضى واسعة

شارك فيها أولاده ، وزادت في ارتباك الاوضاع محاولة الامير التيموري شاه رخ الاستيلاء على تبريز . الا ان الامير اسكندر بن قره يوسف تمكن بعد معارك دامية من السيطرة على الموقف وثبت حكمه في ماردين واذربيجان في ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م .

تعرضت بغداد الى هجوم واسع في ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م شنه اسبان ابن قره يوسف في محاولة لانتزاع الولاية من أخيه محمد شاه ، وبعد معارك طاحنة سيطر اسبان على بغداد والحلة وواسط ، وهرب محمد شاه ثم قتل . وحكم اسبان بغداد بصورة مستقلة عشر سنوات حتى وفاته في ٨٤٨/١٤٤٤ ، فنصب انصاره ولده الصغير فولاذ حاكماً ، وطمع السلطان جهان شاه حاكم امارة القره قوينلو بمدّ سيطرته المباشرة عليها . فقاد جيشه وحاصر بغداد في ٨٤٩/١٤٤٥ مدة ستة اشهر تمكن في نهايتها من دخولها ، فخربها وسجن فولاذ الذي لم يلبث ان توفي في سجنه . وربطت بغداد مباشرة بتبريز ، ووليها ابن السلطان جهان شاه سنة واحدة ، ولى بعدها ابنه الآخر بير بوداق .

أطمعت اضطرابات الاوضاع ، والصراع المتواصل بين القره قوينلو وبقايا الامبراطورية التيمورية ، ببربوداق على الاستقلال عن حكم ابيه السلطان جهان شاه الذي ولاه بغداد ، فسار جهان شاه الى بغداد وحاصرها في ٨٦٩/١٤٦٤ ، مدة تزيد على السنة أضطر فيها السكان الى أكل الجيف والبحث عن فتات الطعام في المزابل ، وتعرضت مع ضواحيها الى خراب مدمر . وأخيراً نجح جهان شاه في دخول بغداد في ٨٧٠ / ١٤٦٦ حيث أمر باعدام ابنه ، وولى عليها بير محمد الطواشي بن زينل وعاد الى تبريز .

واغتنم اوزون حسن الطويل زعيم امارة تركمانية اخرى مركزها ديار بكر حالة الانشقاق الذي حدث بين جهان شاه وولده ، وما رافق ذلك من اضطراب ، فمد سلطانه الى المناطق المجاورة التابعة للقره قوينلو . وفي

المعركة التي جرت بين الامارتين في ديار بكر سنة ٨٧٢/١٤٦٧ ، دحر جهان شاه ولقي مصرعه ، كما أسر ولداه محمدي مرزا وابو يوسف مرزا • ثم سار حسن الطويل بعد انتصاره الى بغداد وحاصرها ولكن حاميتها قاومت ، واضطر اوزون حسن الى رفع الحصار ، والتوجه الى تبريز ، للقضاء على حسن علي الذي كان قد تولى السلطة في تبريز بعد مقتل والده جهان شاه ، وفر حسن علي الى همدان حيث انتحر في ٨٧٣ / ١٤٦٨ ، واستولى حسن الطويل على العاصمة تبريز وبذلك انتهت امارة القرة قوينلو •

اما بغداد ، فقد توفي واليها بير محمد الطواشي في ٨٧٣/١٤٦٨ فتعاقب على حكمها واليان خلال سنة انتهت بتقدم جيش الآق قوينلو بقيادة مقصود بن حسن الطويل الذي دخل بغداد وقتل واليها •

الآق قوينلو ١٤٦٧ ـ ١٥٠٨

وهي من بين الامارات التي اقامتها العشائر التركمانية النازحة من تركستان الغربية الى اذربيجان وجهات الاناضول في اواخر القرن الثالث عشر ، وعرفت باسمها لاشتهارها باقتناء (الشياه البيض) • وكان لها عند بداية ظهورها ، قوة ونفوذ ، نظراً لاتباعها سياسة مؤيدة لتيمور لنك ، وحصل زعيمها قره عثمان على مكانة مرموقة ، وثبت أقدام امارته في ديار بكر • وفي عهد حفيده حسن الطويل ازدادت قوة الامارة ونافست غريمتها امارة القره قوينلو ، وتمكنت من القضاء عليها في المعركة الحاسمة التي دارت في ديار بكر عام ٨٧٢ / ١٤٦٧ ، حينما صرع عاهلها جهان شاه ، وضم لامارته ممتلكاتها كافة ومنها العراق •

تولى ولاية بغداد في العهد الجديد مقصود بن حسن الطويل • ونال العراق شيئا من الاستقرار والعناية ، ولكن سرعان ما شاع الارتباك في الامارة اثر وفاة حسن الطويل في ٨٨٢ / ١٤٧٧ ، وخاصة في

مكتبة أحمد

عهد خليفته خليل الذي لم يدم سوى أقل من سنة أظهر فيها تعسفاً ، وانغماساً باللهو والترف • فاندلعت حركات التمرد ، اذ ثار ابن عم السلطان خليل مراد بن جهانكير والي بغداد ، وحاول احتلال مدينة السلطانية ، الا انه اندحر امام قوات السلطان وقتل • والتف الامراء الناقمون على خليل حول أخيه يعقوب وأسندوا ثورته في ديار بكر ، فتشجع الامير يعقوب ، وتقـــدم بجيشه الى اذربيجان ، وعند نهر خوى اوقع هزيمة ساحقة بقوات السلطان وقتله واعلن نفسه سلطاناً في تبريز عام ٨٨٣ / ١٤٧٨ وظل يحكم حتى سنة ٨٩٦ / ١٤٩٠ وتمتعت الامارة خلال تلك الحقبة بشيء من الاستقرار •

وبوفاة يعقوب تجددت الاضطرابات ، وكثرت الحروب الاهليـة بين مختلف الطامعين من السلالة الحاكمة ، وادى ذلك الى تفكك سلطـة الآق قوينلو • وأصبح العراق اقليماً مهملاً من دولة مجزأة يتنافس فيها الطامعون لفرض سيطرتهم بالسلب تارة والقتل تارة اخرى • فقد خلف يعقوب ابنـه بايسنقر وهو فتى في العاشرة من عمره ، فطمع الأمير رستم بن مقصود بالعرش ونجح في دحر بايسنقر ودخل العاصمة تبريز في ٨٩٧ / ١٤٩١ مجبراً السلطان على الفرار •

وتتابعت حركات التمرد والعصيان في عهد الغاصب الجديد ولم تنته الا بعد ان تمكن الامير أحمد من احفاد حسن الطويل من دحره وقتله في ٩٠٢ / ١٤٩٥ • واعلن احمد نفسه سلطاناً ، ولكن حكمه لم يدم أكثر من ستة أشهر قتل في نهايتها على ايدي الامراء الآخرين • وأعلن ثلاثة من الامـراء في وقت واحد انفسهم سلاطين وكان العراق وبلاد فارس من حصة مراد وهو احد هؤلاء السلاطين الثلاثة •

من هذا الاستعراض السريع للمنازعات والحروب الاهلية التي عمت الامارة ، يتبين لنا ان العراق في هذا العهد مَرّ بسلسلة من الاضطرابات كانت جزءاً من فوضى عامة سفكت خلالها دماء غزيرة ارضاء لجشـع المتنافسـين

كافة المناهج الدراسية
مجاور الباب الامامي

والخير للامة » • ثم غادر الشاه بغداد ، وبعد ان ضم البصرة الى ممتلكاته ، سلك طريق تستر والحويزة حيث قضى على الامارة المشعشعية هناك ومد سيطرته على الأحواز كلها •

الصراع مع العثمانيين

ينتمي العثمانيون الأوائل الى أحد عشائر قبيلة الغز التركية ، تعرف باسم قابي ، هاجرت من المشرق الى الاناضول في القرن الثالث عشر للميلاد ، تحت ضغط تحرك المغول في اواسط آسيا • وتمكن عثمان (الذي ولد على حسب الروايات التاريخية سنة ١٢٥٨ ، أي سنة احتلال المغول بغداد) من تأسيس امارة قوية استظلت بدولة السلاجقة الروم أول الأمر ، وتوسعت على حساب الدولة البيزنطية وبسقوط دولة السلاجقة على يد المغول الايلخانيين ، تمكنت الامارة من استقطاب عدد من الامارات التركية المسلمة في الاناضول ، وهي الامارات الناشئة على انقاض دولة السلاجقة ، واستأنفت توسعها غرباً ليتحول، منذ سنة ١٣٤٥ ، الى اوربا الشرقية ، حيث استولت على اجزاء كبيرة منها ، ولم تنجح غزوات تيمورلنك المدمرة سنة ١٤٠٠م في القضاء على الدولة العثمانية ، رغم سيطرته على قسمها الآسيوي كله ، اذ سرعان ما استطاعت ان تعيد حكمها في هذا القسم ، وان تتوج أعمالها العسكرية ، في عهد محمد الفاتح ، بفتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م ، وضم اجزاء اخرى من اوربا الشرقية • وما ان انتهى القرن الخامس عشر حتى كانت الدولة العثمانية تشمل الاناضول